

مسافرون

أحمد دحبور

- أين المسافرون؟

- هنا المطار: العربات، الباب،

واللوائح - الذهاب والإياب

وأنت من تكون؟

هل وَحَدِّكَ الحضور والمسافرون كلهم غياب؟

أتى الزحام، رزمة البريد،

والحقائب، الأختام، كوة النقود،

إعلان عن الجديد، سلمان للصعود والهبوط

أتى الهواء بارداً، أتى العصير، الصحف،

استمارة الرحيل، أصوات الهلام المعدني -

: أقلت . . تأخرت . .

على المسافرين أن يراجعوا الخطوط

أتى الصدى،

أتيت، ها تذكرتي جديدة،

موعداً محدداً،

وسعرها مُسدداً،

وساعتي دقيقة،

هاعقرباها المستعادان . . يجران المتاع،

من ترددي إلى الميزان،

حيث ضجّة ولا مسافرون

أسأل (من أسأل؟) هل تأخروا؟ أم خرجت بيوتهم

منهم،

وناداهم يمام غامض فبكروا؟

تأخروا . . أو بگروا، ما يفعل المسافر المؤجل

المصاب؟

. . . ومن غشاء لهجة السؤال،

راح يرشح الجواب

- أين المسافرون؟

- وأنت من تكون؟

- سلّمت مفتاحي لمولى البيت،

ما ودّعني، ولا أطلّ جاري

ربيت بيتي حجرة فحجرة،

وفجأة تنكرني مكتبتي، نافذتي،

شرخ الجدار، مزهريتي، سريري، لُعب الصغار

ولم أكن هنا،

ولم أكن هناك،

لن يكون في مطاري الجديد من يشغله انتظاري

وحيث جئت لم أجيء،

غلغلت في التراب حتى عافني التراب

ألقت برقاً وسحاباً،

فادّعاني الرعد والسراب

تخلخل السكون

وأورثتني الأرض، منذ غودرت، لؤلؤة الجنون

وقلت لا، في داخلي لؤلؤة تضيء بالحريق،

فانتعلت جمرتين،

واشتعلت مرتين،

فيما صدني ألف جدار،

فانشغلت بالبريق نافداً من الشقوق،

واستتبّ النور والهباء

أنا هو النور أنا الهباء

في داخلي لؤلؤة تضيء بالحريق،

لكن عندما جاء الحريق لم تضيئ

وحيث جئت لم أجيء

لم أدخل الجنة لكنني نسخت صورة عنها،

وأغرثني الجحيم دائماً،

كاملة الأبواب والحروف والبهاء والإغواء
أريدها كاملة وربما لا أكتفي

أنا الذي إذا اكتفيت أختفي
أو تختفي من حولي الأشياء

أين المسافرون؟

أين الكلام؟ أين أيّ عابر؟

أليس من حق المطار أن يقودني المفتشون؟

وأن أنام جمعة مع المهريين والجرذان في السجون؟
لا شيء من هذا،

إذن، ليس مطاراً ما أرى،

أو أنني سواي، أو... .

فلأعترف بأنني اكتفيت

رضيت عن لؤلؤة الجنون عقلاً خاملاً وظلّ بيت

رضيت فاخفيت

- هل أكتفي المسافرون فاخفوا؟

- .. وكلهم في وهدة المطار يسألون:

أين المسافرون؟

لسنا نرانا، إنما نحن هنا،

أصواتنا تدلّ،

والهواء، وهو باردٌ يسخنُ إن يمسنّا، يدلّ،

والصراخ والسباب

حتىّ الهواء جيفةٌ ولا يحومُ فوقنا غرابٌ؟

أليس من طائفةٍ تقلّنا؟

أين هيّ الأبواب؟

تقطّعت بالسيادة المسافرين الأرض والأسباب

وهكذا ترنُّ أصوات الهلام المعدنيّ،

في فضاء الصبر والقنوط:

تأخّرت .. وأقلّعت ..

على بقية المسافرين أن يراجعوا بقية الخطوط

فلم تكن خطيبي كافيةً،

عذبّت من أحبّها ولم أحنّها،

واختفت بخيبي الذئب في الصحراء

هذا أنا .. شريعتي الضوضاء

لم أكمل الطريق يوماً،

غير أنني كنتُ دوماً أبتدى

وساورتني مدن الأضواء فالتحقت،

رافقت الذي علمني الشوكة والسكين والنساء

وحين ذاع الضوء،

ذابت قطرة على الجبين،

فاستفاقت جمرة الحنين حتىّ نمّت،

هكذا خويّت والمكان ممتليّ

فكيف جاء ساكن المرأة يرغي معلناً

أنّ الذي هنا أنا؟

والظلّ كيف جاء

وكيف صرتُ تابعاً له، ولا يتبعني،

أوهمتُ روعي أنني شريك

ظننتُ أنّ صورتين في إطار تصنعان صاحباً،

لكنه قبل صياح الديك

.. لا، فهو ما أنكرني،

لكنه لم يرني،

كان يرى البساط والجنود والأضواء

ولا يرى لؤلؤة الجنون

فهل غدرت أم غدرت عندما غادرتُ حزن أمي

الحنون

مُمتلئاً بلؤلؤة؟

تلوح لي بيتاً، وحيناً جملة مفيدة،

وتارةً بذراً، وطوراً امرأة

تشعُّ حتىّ تملأ العينين ثم تنظفي

يضيء لي انطفأؤها ما تحجب السنون:

أكون - أو أكون

أريدها كاملةً،